من مشاهد الشرق

٢ ـ طائفة البهرا في الهند

في الطريق الى راعي الرعاة

بقلم محمد نزيه

ولأذن الله أن أبرح عدن إلى الهند ، فلم تبرح النفس توافة إلى رؤية الشيخ الأكبر لطائفة البهرا ، ولم تزل تستنفر عزيمتي حتى عاهدت كل منهما صاحبتها على أن تكون زيارة الشيخ أول ما أتكلف له بعد مطالعة (بمبي) ، فلم أكد أنيخ الراحلة في هذه المدينة ، حتى طالعني أبناء هـذه الطائفة زرافات ووحداناً ؛ تموج بهم المدينة ؛ فهم في شوارعها ودروبها وحوانيتها يعرفون بطول اللحى ، وبالعمائم البيضاء ، و (البنطلونات) تحت المعاطف القصيرة ، وبالنشاط الذي لا يفتر ، وبالوقار الذي لا يذهل عنه ؛ فانهم قوم جبلوا على النشاط حتى لتحسبهم في سرعتهم إذا ساروا . وفي دأبهم إذا عملوا ، أضعاف أضعافهم ، هم لا يتجاوزون العشرين ألفاً في مدينة تزخر بمليون وثلثمائة ألف نسمة ؛ ولكن دأبهم جعل الواحد منهم عشرة أشخاص ! لا تكاد تراه هنا حتى تشهده هناك ، كأنه من عالم الأرواح ... هم كالموج التلاطم على سطح المحيط ، يضيق به الخضم وهو منه كالحصاة من الجبل ، بل وتمضي السفن في طريقها تشق العباب ولا تحفل به ، حتى إذا دوى الموج وارتعدت فرقا ، واهتزت رعباً ، وكانت تهتز عجباً

ليس من جماعة البهرا من لا يجمع إلى فصاحة الأردية طلاقة الكجراتية ، ورطانة الانجليزية ؛ وليس فيهم من يعرب لباسه عن حاجة ، أو يتم ضعفه على هوان ، فكلهم عند نفسه كريم ، وفي قومه عزيز

كنت راغباً في زيارة الشيخ الأكبر ، فلم يزدني ما تحققته من طوابع طائفته إلا رغبة أمست رؤى ، وأصبحت هواجس ـ والشيخ لا يحظى بالاستئذان عليه إلا كل عظيم بارز في قومه ، ولامناص ـ لمن شاء ـ من رجاء يتقدم به إلى رئيس الوزارة البهرية ، فاذا انتهى هذا به إلى الشيخ فأذن ، حدد الموعد بحساب الدقائق فيما لا يستنفد من الساعة إلا أقلها ، وعلى أن يذكر الزائر أن الدقيقة ستون ثانية ، والثانية ستون ثالثة ، فكأن دقات القلب لا تسعف في هذا الحساب

وكان أن تفضل الشيخ الأكبر ، فأذن لرئيس وزرائه أن يستقدمني ، ضاربا للقاء موعداً من مساء يوم قريب . . . فلما أن اقترب الموعد ، ركبت إلى قصر الشيخ ، وكنبة الحجيج من أبناء الطائفة ، في (وال كِيشَر)

ووال كيشر ، هو من ثغر بمبي حي الطبقة الرفيعة من سراة الاقليم ، أقيم على ربوة عالية تطل على المحيط وتشرف على المدينة كلها ـ لكأنه نجم سهاعن ذكره الفلكي ـ ليس بين قصوره وعمائره إلا متاحف تنطق بفني الهند وتفصح عن جاهها وترفع النقاب عن فنونها ـ من شاء أن يعلم أين تنصب كنوزها في هذا الحي السعيد مصبها ، وفيه يستحيل الذهب فنوناً ، وتقوم الرياض على قنة الجبل كأنها البنود المرفوعة . أليس زرعها يتماوج من مداعبة النسيم كما تماوج البنود ، أليست مطرزة بألوان من الزهر مختلفات بين أحمر القرنفل وأبيض النرجس وأصفر الورد وأزرق البنفسج ، على صفحة من خضرة مذهبة ؟ ثم لعل ما ينفح الناس من طيبها فينبههم إلى تحيتها إذا أغفلوا ، إنما يقوم في موضع تلك القداسة المعنوية التي تنبه الناس إلى تحية العلم

بلغت السيارة بنا حي وال كيشر ، فتباطأت عند أقدامه وتهيأت للتصعيد في مراقيه ، وأخذت تطوي مسالكه ونحن في داخلها كأننا تحت أجنحة طائرة ، وقد مهد الطريق على شدة صعوده وكثرة منعرجاته ، وامتد الزرع على جانبيه ، وقد امتزج سكون الليل إذ ذاك وسكون العظمة يزدهي بها هذا الجبل الذي لا يحمل على أكتافه ، ولا يضم إلى صدره ، إلا العظماء وفنونهم ؛ فاذا رهبة زاد بلوغها في النفس هـذه الأضواء الخافتة التي تشع من مصابيح الطريق ، ولا راجل في مراقي هـذا الجبل بل سيارات تصعد بأهلها أو تهوي بهم فينة بعد فينة . وفيم يقدم الراجل على ركوب هـذا الجبل ؟ وهو لا ناقة له فيه ولا جمل ؟ أما خفوت الأضواء ، فلعل له غاية لا تمت بسبب إلى مبادئ الاقتصاد ، هذه المبادئ التي يلفظها هذا الجبل ، بل لعله يرتفع

بساكنيه معتصما بالعلو من سيلها ، وعاصما لهم منه ، إنما هي دعوة الجمال ، ومن آياتها ألا يطفى النور الصناعي على النور الطبيعي ، على نور القمر وما أحاط به من كواكب

كنا نجتلي مفاتن هذا المنظر السحري ، والسيارة توغل فيه كأنما نسيت أنها تقصد بيتاً ، فاندفعت على غير هدى تريد أن تصل إلى أعماق هـــذا الابداع ؛ أما أنا فقد سرت بي برهة ما شككت أثناءها في أنني أترك العالم ، وفي أنني لن ألبث طويلاً حتى أبلغ ماوراء الكون ، وأهتدي إلى أسرار الخلق وغوامض الحياة والموت .. ثم ليكن ما يكون ، ومازالت أرواحنا تسمو ويخلص جوهرها من شوائب الدنيا وأعراضها وشهواتها حتى صارت كأنما فرغ الله من صنعها منذ طرفة عين ، ذلك كله والسيارة تهتز في منعطفات الجبل كأنها سكرى . . . . بل هي سكرى ! ولم لا ؟ وهي تسبح في خمر الطبيعة ، ثم لم لا ؟ ومن شأن هذا الجمال أن يشيع الحياة في الجماد

انتهينا إلى بوابة رحيبة الجانبين مفتوحة المصراعين ، وكلت حمايتها إلى حارسين عليهما أزياء الجند ، ما إن نفذت سيارتنا منها ، ثم هوت خطوات في جادة القصر ، حتى كنا في قلعة ذات أبراج ، تكاد تقطع بيننا وبين معالم الدنيا ، وكأنما أعدت لتقارع الفناء ، وليمتنع بها الأبد

ثم استقرت السيارة بنا في منتصف هذه الجادة عند ردهة على يمينها ذات ثلاثة أبواب ، وهنالك ابتدرنا خادمان ملتحيان هما من أبناء الطائفة بالسؤال ، فأجبنا ، وإن هي إلا برهة حتى استقبلتنا غرفة الانتظار عن يمين الردهة ، فلما شرعت إليها ساق ، همس سائق السيارة في أذني بانجليزيته المفهومة على أي حال ، أن اخلع نعليك فذلك عند القوم سنة مؤكدة ، وقد فعلت ، ودخلت فاذا غرفة تتسع لنحو سبعة أمتار في نصفها ، صفت إلى جدرانها كراسي نظيفة ليست بالوثيرة ولا بالخشنة ، وكل أبهتها في سجادتها البيضاء ، المتسمة بأبهى الألوان في أبدع الشكول ، وفي تلك الصور القليلة تحف بها إطاراتها الثمينة ، وقد نبتت إلى الجدران ، وبينها صورة الحرم القدسي رصعت بالأصداف ، وقد علمت أنها كانت فيما حمله وفد المؤتمر الاسلامي إلى الهند من هدايا ؛ فكانت نصيب هذه الغرفة

ظللت أتأمل محتويات الغرفة دقائق لعلها بلغت عشراً ، حتى أقبل عليّ رجل معتدل القامة كريم الوجه ، هو في نحي العقد السادس من العمر ، ينبئ الجد في ملامحه والنفوذ في عينيه خلف منظاره الأبيض ، والانتصاب في قامته ، والهدوء في نبرات صوته ، عن أن له في هذه الدولة شأناً ؛ طويل اللحية أسودها ، يرتدي معطفاً قصيراً من أقمشة الصيف خفيف الاسمرار مشدوداً إلى عنقه ، تحته بنطلون من القماش نفسه ، وقد تمم على طربوش ، فحيا ، ثم استوثق من أنني صاحب الموعد المضروب ، فاقتادني إلى مجلس داعي الدعاة

ذاك رئيس الوزارة البهرية ، وكاتم سر إمامها ، وأقرب القوم إلى نفسه ، وهو من وجوه المدينة وأعلام رجال المال فيها ، وهو ممن يلقى الحاكم إليهم سمعه ، ولا يضن بالطاعة له المحكوم . . . ثم هو قبل ذلك ومع ذلك وبعد ذلك ، خادم للشيخ لا يعدل بمرتبته تلك مرتبة إلا أن تكون في السماء

القاهرة محمد عزيز

وزارة المعارف العمومية

اعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة وكيل المعارف المساعد للتعليم العام بوزارة المعارف بشارع الفلكي بمصر لغاية الساعة العاشرة صباحاً من يوم السبت الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٥ ، عن توريد أدوات أشغال الابرة اللازمة لمدارس الوزارة في سنة ١٩٣٥/١٩٣٦ مثل بفتة وتيل أبيض وخيط أبيض وملون وأبر خياطة وصوف للحبك الخ ..وستفضل المصنوعات المصرية . ويمكن الحصول على شروط ومواصفات المناقصة المذكورة من إدارة المخازن بشارع درب الجماميز بمصر نظير دفع ثمنها وقدره مائة مليم